الحياة بخار

القراءة: يعقوب ٤:١٣–١٧

التاريخ: ١٩٨٩/٣/١٩

«هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذه الْمَدِينَة أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ. أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَد! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ. وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ فِي تَعَظُّمِكُمْ. كُلُّ افْتِخَارٍ مِثْلُ هذَا رَدِيءٌ. فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلاَ يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ.»

«ما هي حياتكم؟» (يعقوب ٤:١٤). سؤال يسأله يعقوب في هذه الرسالة. إنه سؤال قديم حريّ بكل واحد منا أن يسأله لنفسه: ما هي حياتي؟ ما طولها، ما أساسها، ما امتدادها، ما معناها، ما قيمتها؟ لماذا وُجدْتُ، أين أنتهي؟

هذه كلُّها أسئلة تختص بالحياة. قد تقولون كما يقول يعقوب: «نذهب اليوم أو غدًا إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتّجر ونربح. أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد، لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل. عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك، وأما الآن فإنكم تفتخرون في تعظمكم» (يعقوب ٤:١٣–١٦). كأنكم مصدر الحياة، وكأنكم تمتلكون الحياة. ما هي حياتكم؟ نريد بنعمة الرب أن نتأمل في هذا الموضوع في بعض النقاط:

١ • ***الحياة بخار لأنها قصيرة***. مهما حاولنا أن نطيل العمر، أي نطيل الحياة، والناس كل الناس يحبّون الحياة الطويلة ويدْعُون لبعضهم بطول العمر بقولهم: «يطوّل عمرك، يطوّل عمرك». لكنّ الحياة تبقى مع تطويلها قصيرة. يقول الكتاب المقدس: «أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة»، (أي إذا كان الإنسان نشيطًا ويتمتع بصحة جيدة)، «فثمانون سنة» (مزمور ٩٠:١٠). الحياة قصيرة، يقول الكتاب المقدس أيضًا في مزمور ٣٩: ٥ و٦: «هوذا جعلت أيامي أشبارًا وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخة كل إنسان قد جُعل، إنما كخيال يتمشّى الإنسان». الحياة بخار لأنها قصيرة.

نشكر الله لأن الحياة قصيرة، **فإنّ طولها لا يُحتمَل**. يقول الكتاب إنها «قليلة وردية» (تكوين ٤٧:٩). مع قلّتها رديّة، موسومة بالشرور، والنجاسات، والقذارات، والحروب، والأوبئة، والمجاعات، والفيضانات، والاضطرابات، والأمراض، والويلات. «أفخرها» يقول الكتاب، أحسن ما فيها، أجمل ما فيها، «تعب وبليّة» (مزمور ٩٠:١٠). أي إنّ الإنسان يشتغل ويكدّ ليلاً ونهارًا، كلَّ أيام الشباب، وحتى أيام الشيخوخة و«أفخرها تعب وبليّة».

وقصرها مفيد، لأنّ فيها نقرّر أبديَّتنا الطويلة. إنها بخار، لكن أثناء وجود هذا البخار، بإمكان أي واحد منا أن يقرّر أين سيكون في الأبدية الطويلة التي لن تنتهي. من يتوب، ويقبل كفارة المسيح، ويسلِّم حياته للرب، ويؤمن بعمل المسيح على الصليب لأجله، ويترك الخطية، ويأتي إلى الرب، يأخذ حياة أبدية. وهكذا، يستطيع في هذه الفترة القصيرة من حياته أن يقرّر أبديّته الطويلة، فيعيش مع الرب إلى أبد الابدين ودهر الداهرين في المجد. من ناحية أخرى، وفي هذه الحياة القصيرة، يمكن للانسان أن يكون له تمتّع وقتي قصير بالخطية، ويذهب إلى جهنم حيث الدود لا يموت والنار لا تطفأ. إلى أبدية مظلمة، مرعبة، يكابد غضب الله إلى أبد الآبدين، حيث يقول الكتاب المقدس: «يصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهارًا وليلاً» (رؤيا ١٤:١١).

نشكر الله لأننا نستطيع في هذه الفترة القصيرة، في هذه الحياة، أن نقرّر أبديتنا الطويلة. ليت الرب يعطينا حكمة حتى نتخذ القرار السليم،

فنأتي إلى الرب بالتوبة، ونغتسل بدم المسيح، ونأخذ الخلاص، ونحصل على الحياة الابدية.

نستفيد من قصرها، إذ من خلال قصرها يمكن ان نذخر للأبدية. كما قال المسيح: «اكنزوا لكم كنوزًا في السماء» (متى ٦:٢٠)، وذلك عندما نذْخَر حياة روحية، مقدَّسة. عندما نُحِبّ الرب ونخدم الرب، عندما نعيش ليسوع الحياة الصحيحة المرضيَّة، نذخر لانفسنا نصيبًا صالحًا طوال الابدية. من ناحية أخرى يُحذِّر الوحي من تذخير آخر بقوله: «من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذْخَر لنفسك غضبًا في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة» (رومية ٢:٥).

إذًا بإمكاننا في هذه الحياة القصيرة، بدل أن ندَّخر غضبًا، أن ندَّخر لأنفسنا بركات وامتيازات عظيمة وجليلة في الأمجاد مع الرب، إلى أبد الابدين. الحياة بخار لأنها قصيرة.

٢ • ***الحياة بخار لأنها سخيفة***. بخار، ومن يأبه للبخار. فالبخار، شيء سخيف، لا يحرِّك ساكنًا، ولا يؤثّر في شيء، ولا أحد يهتمّ به، «بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يعقوب ٤:١٤). الحياة سخيفة، لأنّ الموت ينسف كل مشاريعها. بخار يخطّط أن يسير في طريق معيّن، وفي اتجاه معيّن، وفجأة تراه يتلاشى. الهواء يتلاعب به، وينسف كل مشاريعه. الموت ينسف مشاريع الحياة. طالبٌ عنده مشروع أن يتعلّم، يلتقيه الموت فلا يصل إلى المدرسة. أب عنده مشروع أن يهتم بعائلته، فيذهب بحثًا عن لقمة العيش، ولكنه لا يعود. إنسان سافر، ليغيب سنة ويرجع، وَعَد

بالعودة الصيف المقبل، أتى الصيف وهو لم يأتِ... اختطفه الموت. يضع الانسان الامكانيات والمجهودات الكبيرة، ويرسم المشاريع لهذه الحياة، وتبقى الحياة أساسها سخيف ومشاريعها سخيفة لأن الموت يتلاعب بها. لكن بإمكاننا أن نجري فيها تغييرًا عظيمًا.

هذه الحياة السخيفة يمكن أن نسلِّمها للمسيح، والمسيح بدوره يجعل لهذه الحياة معنى، وقيمة، ويضع لها أساسًا لا يتلاعب به الموت، ويرسم لها هدفًا. عندما أعطي حياتي هذه للمسيح، وأُحبّه وأعيش له، يصبح لحياتي معنى. عندما أخدم المسيح، وأتكلّم عن المسيح، وأعبد المسيح، وأمجّد المسيح، وأجمع مع المسيح، يصبح لحياتي هدف. ويجعل المسيح للحياة السخيفة قيمة عظيمة. قيمة لا تنحصر في هذه الحياة فقط، بل تتعدّاها إلى الأبديّة. المسيح يُعطي حياة أبدية كما يقول من فمه المبارك: «خرافي تسمع صوتي... فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد» (يوحنا ١٠: ٢٧ و٢٨). هذه الحياة القصيرة تصبح حياة طويلة خالدة، ولها أمجاد أبدية، تتمتع بالميراث الأبدي مع المسيح. يستسخف بعضهم الحياة، وهذا يقودهم إلى الإنتحار. لسان حالهم: ما هي حياتي؟ ما قيمتها؟ ما معناها؟ ما أسخفها! ويضعون لها حدًّا. لا. إن كنت تستسخف هذه الحياة اجعل لها قيمة، سلِّمها ليسوع حتى يصبح لها قيمة في هذا العالم، ويصبح لها قيمة أبدية.

٣ • **الحياة بخار لأنها ضعيفة**. تتأثَّر بكل شيء، ويُقضَى عليها بسهولة. بالأمس القريب كان بيننا أعزّاء وأقارب وجيران. أين هم اليوم؟ قضوا بحادث سير، بمرض، بجلطة، بانفجار بالدماغ. انتهى

الامر في هذه الحياة، وذهبوا إلى الأبدية. لذلك يقول الوحي الإلهي: «أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد» (يعقوب ٤:١٤)، الغد ليس لكم، «عوض أن تقولوا إن شاء الرب» (يعقوب ٤:١٥)، واذا لم يشأ الرب، لا تستطيع أن تستمر في الحياة أيها الإنسان الضعيف. ما هي حياتكم؟ إنها حياة ضعيفة، عُرضة للأمراض، والأوبئة، والأوجاع، والحوادث، والمخاوف، والجوع، والحرب، والقتل، والدمار.

ضعيفة، لكن بإمكان هذه الحياة الضعيفة، أن نلملمها ونوجِّهها في اتجاه معيَّن، فتصبح قوة هائلة. حياتكم بخار. وكلنا يعرف أنه عندما يتجمّع البخار ويُوجَّه في اتجاه معيَّن، يُسيِّر الآلات الضخمة في المصانع. هذه الحياة البسيطة، المحتقرة الضعيفة تتحول إلى حياة منتجة، فاعلة، عاملة، إن كنّا نضعها بين يدي الرب، ونوجّهها في الاتجاه الصحيح.

كلُّنا يعرف قصة شاول الطرسوسي. كان يظن نفسه أنه شيء، إلى أن التقاه الرب في طريقه إلى دمشق، فأراه حجمه الطبيعي أمام مجرد نور أبرق حوله، وإذا به أعمى، ملقى على الارض، عاجز عن السير، يحتاج إلى من يقوده بيده. هذه هي حقيقة حياته الضعيفة. وبعد حوار قصير مع الرب، وضع نفسه بين يديه قائلاً: «يا رب ماذا تريد أن أفعل؟» (أعمال ٩:٦). ماذا كانت النتيجة؟ إنتاج ضخم وهائل، جال في كل العالم، وخبّر الناس عن محبة يسوع، وعن خلاص يسوع، وعن صليب يسوع. ونفوس كثيرة رجعت إلى الرب. إنتاج ضخم كان من خلال حياة هذا الانسان، الذي كانت حياته بخارًا لكنه لملمها ووضعها بين يدي يسوع، فكانت النتائج الهائلة والمباركة والمجيدة. هل أنت ضعيف

وتحتقر نفسك؟ حاولت أن تنتفض ولكن لم تستطع، لأنك حاولت بنفسك؟ قُلْ له يا رب ماذا تريد أن أفعل. ضَعْ نفسك تحت تصرفه. فتتمتع بقوة عظيمة بعمل الروح القدس.

عندما يتجمَّع البخار ويوجَّه، يسيِّر القطارات الضخمة التي تزن مئات الاطنان، فتسير على السكة في خط سير مستقيم. نحن لا نستطيع أن نسير في خط السير المستقيم، لأنّ حياتنا بخار – مجرد بخار، حقيرة، بسيطة، هزيلة، محتقرة وسخيفة. علينا أن نلملمها ونضعها بين يدي الرب، فتستطيع حينئذٍ أن تسير بقوة هائلة في هذا الخط المستقيم المرسوم، الذي أراده الرب لنا.

القطار يحمل الناس وينقلهم من مكان إلى مكان. هذا البخار ينقلنا من مكان إلى مكان آخر: من مكان الخطية، والعناد، والضعف، إلى مكان القوة، والتقوى والبرّ، وحياة الايمان المرضيَّة أمام الرب.

وليس هذا فقط، ولكن هذا يعطينا إمكانية أن ننقل الآخرين أيضًا معنا، كما حصل في حياة شاول الطرسوسي، بسبب القوة الهائلة التي وضعها الرب فيه، عندما لملم حياته وأصبح هذا البخار موجَّهًا، فاستطاع أن ينقل الكثيرين من الموت إلى الحياة، ومن الظلمة إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى حرية مجد أولاد الله.